يا هيثم عهد الخيط ...

كنا أحد عشر صحفيا .. ولم يكن معنا شمس ولا قمر .. بل كان معنا روسى وأمريكى .. واعتقد انه من أدب اللياقة أن أقدم الامريكى اولا لا مراعاة لاتيكيت الحرب الباردة أو خوفا من اتهام حيادنا الايجابى بالانحياز .. بل من ناحية الذوق العربى الذى يؤمن باحترام السن ...

وصاحبنا الامريكى هو المستر « وين ويللى » رئيس مكتب وكالة أنباء أمريكية فى الشرق الاوسط . وهى وكالة شهيرة جدا احتفظ لها واعتقد أن كل مشتغل بالصحافة فى مصر بل كل مصرى كان على صلة بها سيظل مدى الحياة يحتفظ لها بذكريات رهيبة .

كنا أيام المحنة ، فى الايام الاربعة التى تلت الانذار الحقير .. عند ما بدا أن الدنيا كلها وقفت ضدنا أو على الاقل تنحت عنا وتركتنا لمصيرنا .. وضربت الاذاعة وأصبحت الغارات فوق رؤوسنا بصفة مستمرة وقطعت المواصلات بين السواحل وعشنا فى الظلام الدامس .. الدامى . وأفاعى ايدن ومولية تعبث بمجلس الامن والامم المتحدة وتهزأ بالرأى العام العالمى .. وايدن يطلب مهلة لدراسة وثائق وخطط ،

وقرارات ، ومذكرات مجلس الامن وكلمات المندوبين والمندوبات فى الامم المتحدة ، وطائراته الالف وخمسمائة تضرب بورسعيد ومائة وستين الف جندى ينزلون عند شاطئها وأوقظ نهرو من النوم فعكف على قراءة نص الانذار المشئوم أو السيء .. أو التعس .. لست أدرى بماذا وصفه والقنابل تتساقط فوق رؤوسنا .. وسكتت الاصوات الا طلقات البنادق فى ايدى الفدائيين فى بورسعيد ودقات الاقدام المندفعة الى هناك .

وكانت صلتنا نحن رجال الصحافة بالعالم هى هذا اللوح الرقيق من الزجاج يغطى الصندوق العجيب الذى يسمى « تيكر » وهو الجهاز الذى يدون البرقيات لاسلكيا . واستلمتنا هذه الوكالة .. أذاعت تسليم بورسعيد وهدوء الحالة فيها وانتظام العمل والتعاون المثالى بين الاهالى وسلطات المدينة وبين جنود الاحتلال .. وكان الانجليز لم يهبطوا الساحل بعد !

ولم يكفها ذلك .. بل وجهت ضربة قاصمة بأن أذاعت نبأ تسليم مدينة الاسماعيلية ! وأن البوليس يعمل « الآن » بالتعاون مع قائد القوات الفرنسية . اذ كان مصدر الخبر هو جى موليه فى باريس .. ربما كانت « بصرة » لاعلان ايدن الكاذب تسليم بور سعيد

وكنت وحدى أمام «التيكر» لم أنم منذ أسبوع ولم أغادر الجريدة .. ولم يتبقى فى الاعينان .. تحملقان ، ورأس يدق، ومضت الآلة اللعينة بعد ان دقت جرسا للتنبيه الى نبأ خطير .. راحت تكتب الخبر حرفا حرفا ، ويدور الشريط وتسقط الاسماعيلية ويعين لها حاكم عسكرى فرنسى ويتعاون رجال البوليس المصرى مع الحاكم المزعوم ! وأسارع فأقطع الورقة قبل ان تقع عليها عين واندفع الى مكتب رئيس التحرير وقد عادت اليه سهرات الماضى العتيدة وضم خليطا هائلا من

الصحفيين والفنانين والعاطلين .. وكامل الشناوى يروى تاريخ حياته مع الغارات الجوية والمتاعب التى تسببها له رشاقته اثناء الغارات.. وفى غمرة الضحك أتسلل وأهمس فى أذنه بالخبر واذا بالوجه الضاحك يعبس كأنما ستنفجر الدموع من كل مسامه ويشحب لونه حتى أمد يدى العاجزة أحاول أن اسند الطود الراسخ ولكن ذلك لا يستمر الا ثوان حتى أكاد اشك فى حدوثه لولا ما ران على الغرفة من صمت قاتل .

ويرمقنى احسان عبد القدوس بنظرات ضارعة ولا أستطيع أن أقاوم فضوله فأهمس له بالخبر ويندفع الرقيق كالصاروخ الى « التيكر » ويرفع كامل الشناوى السماعة ويتصل بمن لا أدرى ثم يبتسم ويروى لنا كيف اتصل جمال عبد الناصر بعامل التليفون بالاسماعيلية وكيف داعبه قائلا :

« ازيك يا واد .. عاملين ايه » وهتف عامل التليفون « مين ..؟ الريس .. ينصر دينك .. شد حيلك .. احنا سبوعة . » ويزعق كامل الشناوى وهو يحكى ويقبل السعآة والمحررون وتتناقل القصة وتقهر الوكالة المغرضة وترتفع الروح من جديد .. هذه الوكالة هى نفسها التى دقت حرفا حرفا انذار بولجانين وكأنما برح بها الحزن والاسى فقالت فى أوله : « فى جو دراماتيكى .. وبعد منتصف الليل .. دعت وزارة الخارجية السوفيتية .. الخ » ولم يفتها أن تقول فى النهاية .. « ومما يذكر أن الانذار الروسى لم يذكر شيئا عن المجر ! » أى والله ما أشبه ذلك بالذى طبع كارتا كتب فيه « محمد عبد الباقى شهادة العالمية والتخصص ودار العلوم وعبدالحميد الديب ليس لديه مؤهلات !! » أى والله ما شأن الديب فى كارت محمد عبد الباقى .. ولكنه الغيظ بمناسبة وبدون مناسبة .. ومرة ثانية أذكر كامل

الشناوى وقد وقف يقرأ على زواره بلهجة منبرية الانذار الروسى ولو كان خروشتشيف لما قرأه بهذا الحماس وهذا الاعجاب ...

رحم الله زكى مبارك فالحديث حقا ذو شجون وقد تركنا المستر وين واقفا مدة طويلة ويده ممدودة والتفتنا نقدم الوكالة ! ..

وباختصار فهى وكالة لا تنسى مواقفها .. قامت بواجبها كوكالة غربية خير قيام .. ولكن المستر وين شيء آخر وأرجو الا أسبب له ابذاء بحديثى عنه

انه كما وصفه الروسى ليس أمريكيا تماما .. ليس من أمريكيى القرن العشرين .. ربما من أمريكيى القرن التاسع عشر الذين يؤمنون بمثل وقيم .. ويحترمون الانسان الفرد والامة الصغيرة .. امريكى لا يعشش فى رأسه فورد ومشروعات النقطة الرابعة والكتاكيت المريضة . بل امريكى من هذا الطراز الجميل .. طراز القديس ولسون .. مع فارق طبعا أن ولسون وهو رئيس الجمهورية استطاع الى حد ما أن يقتنع باستحالة مقاومة الجهاز الضخم الذى خلقه فورد وروكفلر وآل كابونى ، رضى الله عنهم ، بالنوايا الطيبة وحدها واستطاع ولسون أن يعلن هذا الفشل ، أما المستر وين فهو يخفى فشله .. انه يؤمن بالكثير ولكنه يعمل فى مثل هذه الوكالة التى حدثتكم عنها .. ومن ثم يكتب لها ماتريد .. لاتقولوا مزيف حقائق ... فنفس الكلمة يمكن أن تقال عن الروسى وعنى أنا بل عن كل صحافى فى العالم وهذا ما دفعنا الى نقاش حاد حول ما هية الحقيقة .. وكانت مناقشة طريفة حقا بين أمريكى وروسى ويسارى متطرف كما يظنه الامريكى ... ورومانتيكى ديمقراطى من مثالى القرن الثامن عشر كما يسميه الروسى يائسا .

الامريكى يسمى الدور الذى يقوم به اخضاع الحقيقة ..

والروسى يتحدث عن الربط بين الحقيقة والمصلحة.. ويؤمن بنسبية الحقائق ، وأنا أسميها تلوين الحقيقة ... عندما أريد أن اوفق بين رأسين فأنا أرى عيون خطيبتك العسلية وأركز انتباهك عليها .. اما ان رأيت ان زواجك من هذه الفتاة ليس فى مصلحتك أو حتى فى مصلحتى فأنا لا أرى الا انفها الكبير وأجعل منه بازوكة تخرب أى رتل من دبابا ت كيوبيد يحاول ان يربط بين قلبيكما.. انا لم اكذب.. فقط سلطت العدسة على الزاوية التى تهمنى وتمثل مصلحة ... وهنا ينجم الخلاف من جديد ... الفلسفة الامريكيـة تقول مصلحـة من يدفعون الاجر فأنت لا تمثل رأيك الشخصى بل تمثل رأى الذين يدفعون مصاريف الرؤيا وسيتولون هم طبـع وتوزيع هـذه الرؤيا فيجب ان تنظر بعينهم والا فسيغيرون العدسة والصحفى فى هذه الآلة الضخمة ليس أكثر من مجرد عدسة عليها أن ترى بعين صاحبها.

أما الروسى فيقول بمصلحة التطور التاريخى.أما أنا فلاأعرف الا مصلحة واحدة هى القومية العربية ولذلك قصة . ولكن يجب أن نفرغ سريعا من تقديم المستر « وين » .. أنه فى العقد الخامس من عمره يدب الشيب فى فوديه يحتفظ بلحية بولجانينية أنيقة ، وزوجه تجيد العربية ، كانت مصرية ومن أصل لبنانى .. امريكية الجنسية الآن .. مرح يحب النكتة ويفهمها .. ذكى واسع الافق لا يسيئه أن تهاجم الحرب الباردة والقنابل الذرية بل حتى الاستعمار الامريكى !! يعد تقريرا عن خطأ السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط محـوره نحن ـ أى السادة فى وشنطن ـ نعتمد على الذين يفرضـون آراءنا على شعوب الشرق بالقوة والافضل طبعا ان نعتمد على الذين يوسعهم اقناع شعوبهم بآرائنا .. وهو يعتقد انه اكتشف اكتشافا ... ولم أشأ طبعا ان أصدمه فى اختراعه فعلى حد قول الروسى أن هذا التفكير

فى حد ذاته مفيد .. لم أقل له إنه يعنى أحـلال السرقة بالطريقة « الامريكانى » بدلا من السرقة بالاكراه ولكنـه رغم ذلك شريف انه يريد بترول الشرق ولكن بغير دماء .. يريد خلع البئر بدون ألم ألم أقل لكم أنهمن أمريكىالقرن التاسع عشر .. انهيحلم بالزعيم الذى يستطيع ان « يبلع » شعبه مصالح الاستعمار وينسى حقيقة هذا العصر .. لم يعد هناك زعيم يستطيع اقناع شعبه بآراء امريكا ولكن هناك حفنة من الرجال تمزج آراء امريكا بالدم والحديد والنار وتجرعها للشعوب ...

لم أعرف عن حياته الشخصية الكثير .. فهو متحفظ شأنه فى ذلك شأن الانجليز . ولانه كان يصطحب زوجته فقد كان السادة فى اليمن السعيدة يحرصون على أن يخصصوا له « جناحا » يختفى فيه هو وحريمه . وآداب السلوك تحتم أن يبقى هو فى الحراسة .. وكان يدعى أحيانا أننى شقيق زوجته حتى يمكن أن يتقبلوا بقائى معهما فى « الحريم » لبعض الوقت حتى أخفف عنهما سأم الليل والنهار .

***

أما عن الروسى .. فقـد عرفت عنه كل شىء وأكلنـا وشربنا وتناقشنا ونمنا معا ... وليس هـذا نتيجة انحراف فى الحيـاد الايجابى أو ميل فى بوصلة التوازن الدولى ، بل الحقيقة أن الشباب هو الشباب فى كل النظم والرحلات

وصاحبنـا « فشنفسكى » كمـا يسمى نفسـه و « سـيرجى » كما أجبرناه على أن يتسمى لصعوبة نطق فشنفسكى دون الاشـتباه فى القانونى الراحل ، أقول فشنفسكى هذا فى السابعـة والعشرين من عمره من مدينة موسكو . أبوه طبيب عيـون .. بل أخصـائى

عيون وهو شديد الفخر بهذه الحقيقة ·· لا يكف عن ترديدهـا أبدا والاشادة بها بمناسبة وبدون مناسبة ·· وان كان هو نفسه يستعمل نضارات ، ويفخر بأن أباه لا يتقاضى أجرا كما لا يزال بعض الاطباء يفعلون فى روسيا فى استشارات خاصة رغم تأميم العلاج · شديد الايمان بقضية البروليتاريا شـديد التحمس لهـا ·· تزوج فى سن الثامنة عشرة فقد كان يربح من التلمذة حوالى مائة جنيه فى الشهر اذ ان النظام الدراسى فى الاتحاد السوفيتى شديد التعقيد ـ على حد قوله ـ تدفع مصروفات ·· والتعليم الجامعى ليس مجانا فى بلاد البولشفيك ·· كمـا كان يريد الرفيق طـه حسين أن يجعلـه فى مصر !·

ولكنك تستطيع الحصول على راتب شـهرى اذا ما تفوقت فى بعض المواد ويتضاعف الراتب بنسبة معينة .. وربما يكون هـذا الذى اكتبه خطأ بأكمله ولكن ما فهمته .. أن صافى دخله من عملية الدفع والقبض كان حوالى مائة جنيه شهريا ·· وقد عرف بشـدة الذكاء .. وفشنف بالروسية معناها الفراولة وهى سريعةالنضوج ـ كما أخبرنى ـ والذى أعرفه أنا كمستهلك انها سريعة التلف .. وكان أصحابه يسمونه سيرجى الحاد أو سيرجى الفـراولة لشدة ذكـائه وتفوقه السريع فى كل شيء وقد بدأ متخصصا فى شئون امريكا ثم انتقل الآن الى قسم الشرق الاوسط ويقول هو أن هناك علاقة وثيقة بين عمله الاول وعمله الحالى ·

جاء الى مصر عند بداية العـدوان ليراسـل البرافدا ووقع عليـه الاختيار ليرافق بعثة الصحافة الى اليمن · ويبـدو أنه من الاعضـاء الممتازين فى الحزب البلشفى وان لم يقل هو ذلك صراحة ·· ولكنى فهمتها خلال مناقشاتنا الطويلة ·· يحفظ جميع الحان الجاز الامريكية وأغانى رعاة البقر ···

***

وعندما كنا فى « جده » تذكر أنه قد افتقد بيجامته فنزل سوق جده واشترى بيجامة قاقعة الامريكية .. وبعد ان ارتداها واغلقنا الغرفة استعدادا للنوم فوجئت به يغنى أغانى الكاو بويز ويقفز على السرير طالقا اعيرة نارية وهمية بفمه ويده صائحا صيحة «الشجيع» ولم يكف عن الهرج والمرج حتى هددته بأرسـال برقية الى حبيبتـه

نصها : « فشنفسكى تأمرك ارسلوا صاروخا موجها لاعادته .. » فما كاد يسمع اسمها وآسف لاننى لن اذكره فقد تهددنى بالقتل ان نشرته واعتقد انه ينفذ وعيده .. وهو لم يوافق صراحة على ان أنشر أى شىء عنه ولكنى آمل ألا أغضبه بنشر هذه السطور .. اذ اننى اعتقد انه من الضرورى ان اعرف الناس به .. فهو أول صحفى روسى يزور اليمن وبرفقته صحفيون مصريون بل وأمريكى ..

أما كل ما استطيع أن اقوله عن حبيبته فهى ممثلة ومن الدرجة الاولى بطلة فيلم شهير نال جائزة ويكفى هذا والا تعرفونها وأدفع أنا رأسى ثمنا لذلك. تبرعت بدمها لابطال بور سعيد رغم خطورة ذلك عليها كما نصحها الاطباء .. وتصورا ممثلة تتبرع بدمها ..! وهو يعتذر فى تواضع بانها شجاعة جدا وعاطفية الى أقصى حد هوايتها القفز بالبراشوت .. أى والله هذا ما أخبرنى به السيد سيرجى فشنفسكى ابن اخصائى العيون وعنوانه جريدة البرافدا « الحقيقة »، موسكو بالاتحاد السوفيتى واسألوه ان لم تصدقونى .. انه يحب .. بل متيم بهوى فتاة تقضى وقت فراغها فى القفز بالمظلات من أجسام متحركة فى السماء .. وللناس فيما يعشقون براشوتات ..! ولست بحاجة الى أن اقول انها كانت أول من قيد اسمه فى كشوف المتطوعين للدفاع عن مصر ابان هجوم العالم الحر علينا .

تزوج سيرجى كما أخبرتكم وهو فى الثامنة عشر من عمره أحبها وأحبته ثم تخرجا من الجامعة واشتغل هو بالصحافة واشتغلت هى بالتدريس .. وانجبا طفلة .. ثم دب بينهما الخلاف وكان سببه كما يقول هو طبيعة عمله التى تجبره على البقاء بعيدا عن البيت اغلب شهور السنة .. وانتهى بهما الامر الى الانفصال وراح القلب الشاب الذى يتدفق حيوية وينبض بالعاطفة يبحث عن الدفء ...

ذلك هو نصف القصة الذى سمعته فى جدة فى فندق قصر الكندرة أما النصف الثانى فقد سمعته فى القاهرة وكان سيرجى فى قمة السعادة لقد تسلم برقية من حبيبته ترجمها لى وعدت بدورى فترجمتها له وأصر على أن يسمع كلماتها بالعربية وجاملته فطلبت أن أسمعها بالروسية ولولا اننى رأيته يختار العربة الجيب فى جبال « باجل » وهى أخطر العربات وكان أحد الاربعة الذين لم ينبسوا بشكوى قط وكان وحده من بيننا جميعا الذى لم يفقد أبدا بشاشة وجهه ولمعان تفكيره طيلة الرحلة الشاقة المضنية ولولا اننى رأيت الدموع فى عينيه والشهيد اليمنى يموت بين أيدينا .. لولا اننى رأيت ذلك لحسبت هذا الفتى الذى لا يستطيع أن يستقر على مقعده فى شقة بالزمالك سعيدا بكلمة « حبيبتك » ويقبل فى شغف اسمها كأنما كتبته هى بخطها وليست الآلة الحديدية أقول لولا الايام العشرة التى عشتها معه لحسبت أننى أمام مراهق لا يعرف من الحياة سوى الغرام ولكن ذلك هو سر قوته وحيويته الدائمة انهم يعيشون حياتهم كاملة يحبون كشباب ويفكرون كفلاسفة ويقاتلون كوحوش .. ويغنون للسلام كعذارى .. وتلك هى البشرية ...

الحق انه منظر لا ينسى .. منظر سيرجى وقد تورد خداه وأغمض عينيه نشوانا وهو يقص كيف استلفت نظره صورة صاحبته الممثلة وقد الصقت على الجدران فوقف طويلا يتأملها وأحس بشىء يدب فى قلبه الخالى .. ثم قرر أن يقابلها .. ويبتسم فى خجل وهو يعترف باستغلال مهمته الصحفية .. ذهب الى بيت الممثلات وقدم طلبا بمقابلتها وهناك يخضع الممثلات لرقابة دقيقة من ناحية سلوكهن وصحتهن وبرنامج حياتهن ولكن أين هى الرقابة التى تستطيع ان تحول دون قلب شاب ذكى ومقابلة حبيبته ؟!.. وزعم سيرجى

الصحفى أنه يعد دراسة عن الممثلة وسر نجاحها ورأيهـا فى تطور صناعة السينما .. وقضية السلم العالمى وربما مشروع ايزنهـاور واستطاع أن يظفر بالموعد ثم قابلها وبالطبع نجحت المقـابلة بصرف النظر عن مقدار المبالغة فى زعم الاخ سيرجى أن المقابلة دامت تسع ساعات ! وخرج من هناك بسلسلة مواعيد انتهت طبعا بالاتفـاق على الخطوبة ...

ولكن سيرجى المسكين حزين فهو لا يتوقع اتمـام الزواج لان المشكلة هى بعينها عمله الصحفى سيجبره على الطواف حول العالم ومستقبلها كفنانة يمنعها طبعا من تتبع زوجها شأن السلف الصالح.. وهو لا يرضيه ان يحطم مستقبلها .. وقلبه لا يطاوعه على الفراق.. وهكذا توجد المشاكل فى كل مجتمع ويعرف الالم سبيله الى القلب الضاحك والنفس الواثقة بنفسها...وأحسست بالاسى لسيرجى الذى لم يستطع ان يختار لقلبه الا المشاكل !

***

وفشنفسكى أو الفراولة .. قد أنضجته التجارب والمحن وان كان غريبا أن تعصف المحن بشاب سوفيتى ولد وعاش بعد الثورة ولكن علينا ان نذكر أن « العالم الحر » لم ينس اخواننا الروس بل كان ينفحهم دائمـا ببركاته ، وفى الحرب العالمية الماضـية ، كان جيش جنرالات المانيا الذين يتولون اليوم قيادة حلف الاطلنطى أقوى أجهزة الديمقراطية والسلام الامريكى يقومون بنشر المدنية فى ربوع العالم السوفيتى المتوحش وقد نجم عن ذلك وفاة عم فشنفسكى جوعا وقتل عمه الثانى ضربا بكعوب الاحذية فى معسكرات الأسرى ، وماتت أمه وجدته فى حصار لينينجراد أما هو فقد عمل فى فرق الكشافة وهـم

الاطفال الذين يعملون فى خدمة حرب العصابات خلف خطوط العدو ورغم هذه المحن فقد سألت السوفيتى «المتوحش» .. هل يحقد الشعب السوفيتى على الالمان ولكنه أجابنى لقد كنا نعرف اننا نقاتل شعبا ضللته الهتلرية وكنا جميعا نذكر أنه فى ليلة الهجوم فر جندى ألمانى كان أصله عامل ، أتى الى حدودنا ناحية بيلوروسيا ورآه النازى فأطلقوا عليه النار ولكنه أبلغ الحراس بنية الهجوم الالمانى وهو يلفظ انفاسه الاخيرة .. كنا ندرك اننا لا نحارب شعبا بل نظاما استعماريا بغيضا يفرض العبودية على بلاده قبل أن يفرضها على الشعوب ..

كان الامريكى هو الاكثر شبها بالروس بينما يبدو فشنفسكى شابا امريكيا وقد نشبت بين الاثنين صداقة وطيدة وتفاهم عميق ولما كنت أنا معهما بصفة مستمرة اتتبع هذا اللون العجيب من اللقاء والعالم يغلى بحمى البيانات الامريكية والروسية فقد لقبت بهمرشولد وأحسب أنه ليس من الغرور فى شىء ان اقدم نفسى ببضع كلمات ..

كنا قد خرجنا من المعركة وقد بزغت حقائق كثيرة جبارة وكشأن كل الحقائق الجبارة التى تشرق فجأة بدت لنا نحن صناعها غريبة غير مفهومة . والحقيقة انها كانت أكبر مما نعتقد واعنى القومية العربية . عندما عشنا فى أيامنا المجيدة وجاءت أنباء تحرك القومية العربية وكانت أعظم وأقوى من كل ما تنبأ به أشد المتفائلين .. كانت الوقفات المجيدة فى ليبيا والكويت والبحرين البقاع النائية التى ضرب المستعمرون عليها اكثر من ستار ، لقد أحسسنا جميعا ان خيطا دقيقا غير منظور ينتظم هذه القلوب التى تنبض بالحياة فى تلك الرقعة الفسيحة الممتدة من الاطلسى الى الفارسى ... خيطا دقيقا .. ما أن خفقت قلوب أبناء بور سعيد حتى سرت الضربات فى هذا الخيط وخفقت قلوب ثمانين مليونا ...

رأيت خفقان القلوب فى بور سعيد رأيت أم حسن حمود تروى قصة استشهاد ابنهـا وتستحلفنى أن أذهب الى سجن مصر فأبلغ نصر حمود أن شقيقه مات فى شجاعة وانه قام بالدور كاملا كما كان يتمنى نصر أن يفعل . ورأيته فى القاهرة ونصر يحمل ثياب السجن على كتفه وينطلق الى البحيرة يلتمس طريقا يتسلل به الى المدينـة المحتلة ورأيته على الطريق بين بورسعيد والقاهرة رأيت المرأة التى ولدت ابنها فى قارب وسط أمواج بحيرة المنزلة وطائرات الحمـلة البوليسية تضرب بابشع ما أوتيت من قوة لتقنع شعب مصر بالتخلى عن عبد الناصر واذا بالمرأة البسيطة القادمة من بورسعيد تسمى ابنها « الرئيس جمال عبد الناصر » والانجليز يهبطون بالبارشوتات ونصف العالم على الاقل يتوقع انتهاء عصر عبد الناصر ..

رأيته فى العريش والاهالى يتظاهرون حاملين صورة عبد الناصر وقوات اليهود فى المدينة . ورأيته فى غزة وهى تعيش فى ظل ابشع قوات احتلال فى العالم .. اليهود الذين جعلوا من النازيين حمامات سلام بما ارتكبوه هم من هول واجرام .. رغم ذلك خرجت غزة عن بكرة ابيها متحدية الموت والفسـق والارهاب تحيى بعثـة المصريين الراحلين عن غزة وتهتف بحياة جمال وان مصر سـتعود .. رأيت خفقان القلوب ورحت ابحث عن الخيط .. الخيط الدقيق الـذى يربط هذه القلوب .. وكان عسيرا أن اتلمسه فى القاهرة .. مركز الاحداث كنت بحاجة الى طرف الخيط .. فقررت أن أذهب الى كل مكان يخفق فيه قلب عربى .. وجاءت انباء العدوان على اليمن وبدأت استعد للسفر الى هناك .. ولى مع اليمن قصة طويلة ...

عرفت اليمن منذ خمس سنوات .. نعم ! قبل ذلك لم أكن أعرف عنها شيئا .. سمعت عنها من احرار اليمن كما يسمون انفسـهم

عشت مع زعمائهم الذين دبروا ثورة ٤٨ وقادوها ومع شبابهم الذين آمنوا بهم . وكتبت لهم كتابا ولكنى لم اتمكن من نشره قط وخير ما قد حدث ... ولم أكن اتصور أبدا اننى سأزورها وبدعوة من حكومة اليمن ولكن هكذا جرت الامور ، فقد فوجئت بأن السيد عبد الرحمن أبو طالب وزير اليمن فى مصر .. الرجل ذا العيون المتعبة والذقن اللطيفة والذكاء النادر قد نظم زيارة صحفية لليمن وكان من الطبيعى ، وأنا أول من فكر فى هذه الزيارة أن انضم للبعثة .. كانت الجريدة تطالبنى بريبورتاجات والشرقاوى يريد كتابا ..وأصدقائى يريدون طرائفا والمعارف يريدون شاركسكين من جده .

أما أنا فقد كنت ابحث عن طرف الخيط الذى يجمع بين قلوب العرب ويخفق بنبضات القومية العربيـة .. ومن أجـل ذلك ركبت الطائرة ... لاول مرة فى حياتى ...